1 - مآخذ المحدثين على القدماء في باب الجملة

بعد أن وضحنا الفرضيات العامّة المتعلّقة ببنية اللّغة الّتي نعتمدها لتقييم المنوال النحوي العربي وبيّنا سبب اختيارها نبدأ بدراسة أوّل مفهوم من المفاهيم الّتي عددناها ضروريّة لصياغة أيّ منوال نحوي وهو ما اشتهر في الكتب النحويّة واللّسانيّة بالجملة.

لقد شغل مبحث الجملة ناقدي المنوال النحوي العربي. وحظي بكثير من عنايتهم إذ اقترن طرح قضيّة الجملة بظهور أهمّ الأعمال الّتي قاربت التراث. ومن غريب ما يلاحظ اتفاق كثير من اللّغويين العرب المعاصرين على أن النحاة العرب لم يدرسوا الجملة أو لم يدرسوها دراسة مرضيّة رغم اختلاف منطلقاتهم النظريّة وتناقضها أحيانا.

ويمكن أن نبوّب مآخذ هؤلاء اللّغويين في نقطتين رئيسيتين :

1 - أمّا النقطة الأولى فذات طابع إبيستمولوجي عامّ ومحصّلها أن النحاة العرب لم يحدّدوا تحديدا مرضيا موضوع دراستهم. ولذلك أخطؤوا المادّة الّتي اعتمدوها لبناء منوالهم أو لم يتناولوا منها إلاّ جوانب جزئيّة وثانويّة.

2 - وأمّا النقطة الثانية فهي أخصّ ومحصّلها أن المنوال النحوي الموروث غير مطابق لمعطيات اللسان العربي.

1.1 - تحديد موضوع الدراسة النحويّة

لئن اتفق أغلب اللّغويين العرب المعاصرين على أن النحاة العرب لم يحسنوا دراسة الجملة لعدم توفيقهم في تحديد موضوع الدراسة النحويّة فإنّهم تباينوا في تحديد المطلوب منهم ويمكن أن نتبيّن موقفين: أمّا الموقف الأوّل فهو ينقدهم بأنّهم ضيّقوا مجال دراستهم تضييقا مخلا . وأمّا الموقف الثاني فهو يتّهمهم بأنّهم وسّعوا من حدود دراستهم وخرجوا عن حدود ما تقتضيه صناعتهم بشكل أفقد دراستهم التجريد الّذي يقتضيه العلم.